جـامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

**المستوى: السنة الثانية ماستر.** **السنة الجامعية: 2023/2022**
**التخصص: لسانيات عامة.** **السداسي الأول.**
**مادة: الأسلوبية.** **أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.**

## المحاضرة الثالثة
## الفرق بين الأسلوبية والمجالات المعرفية الأخرى

ترتبط الأسلوبية بعلوم عدّة؛ فهي تستند في كثير من مفاهيمها إلى اللسانيات، وقد عُدّت جزءاً مكمّلا لها. كما أنّها عُدّت في نظر بعضهم وريثا مباشرا للبلاغة[1]، أو أنّها بلاغة جديدة[2].

وقد ارتأينا بعد أن عرّفنا الأسلوبية أن نرسم الحدود بينها وبين تلك المجالات المعرفية التي هي على تماس بها؛ لئلا تتداخل المفاهيم. ومما دعانا أيضا إلى ذلك بعض الدراسات التي اطّلعنا عليها، حيث إنّها تتجاوز حدود الأسلوبية؛ لتستحيل دراسات بلاغية، أو نقدية، أو حتى لسانية صِرْفة. وسنوضح تلك الفروق في النقاط الآتية[3]:

**1. الفرق بين الأسلوبية واللسانيات:** يعدّ جلّ العلماء الأسلوبية جزءا مكملا للسانيات. وعلى الرّغم من أن "ستيفن أولمان Stephen Ullmen" لا يعدّها فرعا من اللسانيات، وإنما هي في نظره علم مستقل موازٍ، يعالج القضايا نفسها التي تعالجها اللسانيات، ولكن من زوايا مختلفة[4]، إلا أنه أقرّ منذ 1969 بالقول: «إن الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان الألسنية صرامة على ما يعتري غايات هذا العلم الوليد ومناهجَه ومصطلحاته من تردّد، ولنا أن نتنبّأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي والألسنية معا»[5].

---

[1]- أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007، ص166.

[2]- جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص05.

[3]- اقتبسنا هذه الفروق من، المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص48-49، وص52. والمسدي، النقد والحداثة، ص53 وص57-58. وفتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص30، وص32، وص36 وما بعدها. وموسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص13.

[4]- فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص51.

[5]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص20.

وقد دأب اللسانيون الغربيون على تخصيص الفصول الأخيرة من كتبهم للأسلوبية، ذلك أنهم يعدّونها جزءا مكمّلا للسانيات.

والحاصل أنّ الأسلوبية تتّجه إلى دراسة ما أحجمت عنه اللسانيات، أي "الكلام"؛ فاللسانيات حصرت موضوعها في اللغة، فقد ختم "سوسير" كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" بقوله: «إن موضوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو اللغة منظورا إليها في ذاتها ولذاتها»[1].

وإذا أردنا أن نوضّح ذلك بعيدا عن الأدب، فإنّك حين تقول: "أحب أن أزور الرّيف في فصل الربيع"، فإنه يمكنك أن تختار بدل الفعل (أحب): أرغب في، أو أريد ... كما يمكنك القول: "أحب زيارة الرّيف في فصل الربيع"، فتختار المصدر الصريح بدل المصدر المؤول. كما يمكنك أن تقدّم وتؤخّر، فتقول: "في فصل الرّبيع أحب أن أزور الريف"...

إن هذه الإمكانات التي توفّرها اللغة لمستعمليها هي التي تعنى بها الأسلوبية. فتلك الجمل السابقة سواءٌ في نظر اللسانيات، فكلّها يقرّها نظام اللسان العربي. أما الأسلوبية، فتأتي لمحاولة الكشف عن دواعي ذلك الاختيار، والكشف عن وجهه الفني في العمل الأدبي.

وبهذا يمكن القول بأن الأسلوبيّة تعالج ما لا يمكن للسانيات معالجته[2].

ولعلّ "بيار جيرو" قصد هذا المعنى لما قال: «إن أسلوبيتنا دراسةٌ للمتغيّرات اللسانية إزاءَ المعيار القاعدي، وهذا يتطابق مع التقليد القديم الذي يضع البلاغة في مواجهة القواعد. والقواعد في هذا المنظور، هي مجموعة القوانين، أي مجموعة الالتزامات التي يفرضها النظام والمعيار على مستعمل اللغة. فالأسلوبية تحدّد نوع الحرّيات في داخل هذا النظام»[3].

والواقع أن ثمة فروقا واضحة المعالم بين الأسلوبية واللسانيات، وإن كانت الأولى مدّا من الثانية، تستند عليها في منطلقاتها. وأبرز تلك الفروق:

1. 1. معلوم أن اللسانيات تتخذ الجملة موضوعا لها، لا تتجاوزها، فالجملة كانت عند اللسانيين - قبل ظهور لسانيات النص - أكبر وحدة لغوية قابلة للوصف، في حين تعنى الأسلوبية بالإنتاج الكلّي للكلام، فهي تهتم بالخطاب الأدبي الذي هو مُنتَج لغوي أكبر من الجملة.

1. 2. تعنى اللسانيات بالتنظير للغة بوصفها مشكلا مفترَضا، فهي تحاول الوصول إلى القوانين التي تحكم النظام اللغوي، في حين تتجه الأسلوبية إلى دراسة الوجه الثاني، أي: "الكلام" المنجَز فعلا.

1- F. de Saussure, Cours de linguistique générale, p351.

2 - R. Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, p 218.

3- جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص08.

1. 3. تهتم اللسانيات باللغة من حيث هي مُدرَك مجرّد تمثلها قوانينها، حيث تسعى إلى الكشف عن تلك القوانين. أما الأسلوبية فتعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي، فهي تركّز على القيمة الإبلاغية والإفهامية، وتدرس الكلام بوصفه نشاطا ذاتيا في الاستعمال.

وهذا الجدول يلخص تلك الفروق:

| اللسانيات | الأسلوبية |
|---|---|
| 1- تعنى بدراسة الجملة. | 1- تعنى بالإنتاج الكلي للكلام. |
| 2- تعنى بالتنظير للغة (نظام اللغة). | 2- تدرس المنجَز فعلا (الكلام). |
| 3- تعنى باللغة من حيث هي مُدرَكٌ مجرّد تمثّله قوانينها. | 3- تعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي. |
| 4- تدرس اللغة، وتسعى إلى كشف القوانين التي تحكمها. | 4- تدرس الكلام بوصفه نشاطا ذاتيا في استعمال اللغة، وتركّز على القيمة الإبلاغية والجمالية. |

**2. الفرق بين الأسلوبية والبلاغة:** لعلّ البلاغة أكثر علوم اللّغة التباسا بالأسلوبيّة، فقد وجدنا من كبار منظّري الأسلوبيّة في الغرب من يربط بين العلمين. فهذا "بيار جيرو" -مثلا- يقول: «البلاغة هي أسلوبية القدماء، وهي علم الأسلوب، كما كان يمكن للعلم أن يُدرَك حينئذ»[1]. ويقول في موضع آخر: «والبلاغة إذا كانت فنا للتّعبير الأدبي، وقاعدةً في الوقت نفسه، فإنها أيضا أداةٌ نقديّةٌ تستخدم في تقويم الأسلوب الفردي ... ويمكننا القول إن الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف: إنها علم التعبير، وهي نقدٌ للأساليب الفرديّة»[2].

ولعلّ جملة «إن الأسلوبية بلاغة حديثة» هي التي أحدثت اللّبس في أذهان الكثيرين، ولكن من الواضح أنّ "جيرو" قصد بالعبارة الأسلوبية المنهج النقدي، لا الأسلوبية العلم الوصفي.

وجديرٌ بالذكر أن بعض المنظرين والباحثين الأوائل في هذا المجال كانوا يرون أن الأسلوبية وليدة البلاغة، ووريثها المباشر[3]، فقد ورد في "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان": «تعدّ الأسلوبية الوريث المباشر للبلاغة»[4]. وجاء فيه أيضا: «إن ولادة هذا العلم [يعني الأسلوبية] في نهاية القرن التاسع عشر لتُعَدّ

[1]- جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص16.

[2]- المرجع نفسه، ص05.

[3]- ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص48.

[4]- أوزوالْد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص166.

علامة على الاستغناء عن البلاغة، حتى وإن كانت الأسلوبية ستأخذ منها بعض الوجوه، خاصة فيما يتعلّق بتحليل الصور والاستعارات»[1].

والملاحظ أنه قد غاب عن أصحاب هذه النظرة أنه لو كانت الأسلوبية وريثة البلاغة، لزالت الثانية من الوجود، وحلت الأولى محلَّها، إلا أن العلمين موجودان في الوقت نفسه جنبا إلى جنب؛ مما يدل على أنهما علمان متمايزان، وإن كانت بينهما صلات وثقى.

**وأبرز ما يميّز البلاغة عن الأسلوبية:**

2. 1. إن الأولى علم معياري ينطلق من قوانين مسبقة، أي إن البلاغة موجودة قبل النص، في حين أن الأسلوبية علم وصفي، لا ينطلق من قوانين مسبقة، فهي تتعامل مع النص بعد أن يولد.

2. 2. كما أن هناك فرقا في أهداف كل منهما، فهدف البلاغة تقويمي قبل إبداع النص، أي إنها توجّه الأديب إلى الأساليب التي عليه أن يوظفها في إنتاجه الأدبي، وتقييمي بعد إبداعه، وذلك بالاحتكام إلى المعيار الموجود سلفا، فما اتفق وذلك المعيار كان خطابا بليغا، وما قصر عنه، أو اختلف معه سقطت عنه صفة البلاغة.

أما الأسلوبية، فلا تحكم على العمل الأدبي بالجودة ولا بالرداءة، وإنما تقوم بدراسة لغته، وإبراز سماته وخصائصه الفنيّة، وهنا تتوقف لتترك المجال لغيرها، أعني "النقد الأدبي".

2. 3. أما الفرق الثالث بين العلمين، فيتعلق بالمتلقي، الذي لا يمثّل سوى جانب من جوانب مقتضى الحال في نظر البلاغة، بينما تنظر الأسلوبية إليه على أنه مُنتج للنص؛ فهو الذي يبعث فيه الحياة بتقبّله وتذوّقه، بل إن بعض الاتجاهات الأسلوبية تجعل القارئ وردود أفعاله تجاه النص جزءا من الأسلوب، كما عند "ميشال ريفاتير".

2. 4. إن نظرة البلاغة إلى العمل الأدبي تنبني على ثنائية الأثر الأدبي، أي فصل الشكل عن المضمون، فهي تتعامل مع الشكل (الأسلوب) على أنه مجرد خادم لنقل الأفكار والعواطف في قالب فني جميل، أما الأسلوبية، فتتعامل مع النص على أنه كيان لغوي واحد بدواله ومدلولاته، لا يمكن فصل الشكل فيه عن المحتوى.

فعلماء البلاغة ينظرون إلى الصورة البيانية -مثلا- على أنها خادمة للمعنى، يؤتى بها لغرض توضيحه، أو تأكيده، أو تزيينه؛ فقد نظروا إلى التمثيل-خاصة- على أنه شريفُ القدر؛ لأنه يضاعِفُ قوى المعاني في

[1]- أوزوالْد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص166 نفسها.

النفوس[1] ويُقرِّبُ المشبَّهَ من فهمِ السامعِ[2]. يقول عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) في معرض المقارنة بين وظيفة التشبيه ووظيفة الاستعارة: «ليس ذلك، لأن الواحدَ من هذه الأمورِ يفيد زيادةً في المعنى نفسِه لا يفيدها خلافُه، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثباتِ المعنى لا يفيده خلافُه»[3]، فهو يرى أن وظيفةَ التشبيهِ غيرُ وظيفةِ الاستعارة، إلاّ أنه يحصرُها في تأكيد المعنى. ويقول في موضع آخر في فضل الاستعارة: «ومن خصائصها التي تُذكر بها، وهي عنوان مناقبها: أنّها تُعطيك الكثيرَ من المعاني باليسيرِ من اللّفظِ، حتى تُخرِجَ من الصّدَفةِ الواحدةِ عدّةً من الدُّرر، وتجني من الغصن الواحدِ أنواعاً من الثّمر»[4].

أما علماء الأسلوب، فينظرون إلى الصورة بوصفها جزءا من تفكير الأديب وأحاسيسه، فهي غير منفصلة عن فكره ومشاعره. يقول جاكويسون: «إنّ الشّعرَ هو التفكيرُ بالصّوَرِ، وليس هناك من قصائدَ دون صُور»[5].

وإليك هذا الجدول الذي يلخص تلك الفروق بين البلاغة والأسلوبية:

| البلاغة | الأسلوبية |
|---|---|
| 1- موجودة قبل النص. | 1- تتعامل مع النص بعد أن يولد. |
| 2- تنطلق من قوانين سابقة (معيارية). | 2- لا تنطلق من قوانين سابقة، أو افتراضات جاهزة (وصفية). |
| 3- هدفها تقويمي قبل إبداع النص، وتقييمي بعد إبداعه. | 3- لا تحكم على العمل الأدبي بالجودة، أو الرداءة. |
| 4- المتلقي لا يشكّل إلاّ جانبا من جوانب مقتضى الحال. | 4- المتلقي يبعث الحياة في النص الأدبي بتلقيه، وتذوقه. |
| 5- تقوم على ثنائية الأثر الأدبي (فصل الشكل عن المضمون). | 5- تنظر إلى النص على أنه كيان لغويّ واحد بدواله، ومدلولاته. |

[1]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تصحيح ومراجعة، الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1988، ص203.

[2]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في نقد الشعر وتحيصه، شرح: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط2، 2006، ص244.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، (د ط)،1991، ص400-401.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999، ص30.

[5]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص80.

**3. الفرق بين الأسلوبية والنقد الأدبي**: كثيرا ما يخلط بعض المحللين الأسلوبيين بين مجالين معرفيين مختلفين: الأسلوبية، والنقد الأدبي لمّا يوظِّفُون الأسلوبيّة أداةً لنقد الأسلوب. ويرجع سبب ذلك الخلط إلى عدم التمييز بين الأسلوبية بوصفها علما وصفيا مستقلا، والأسلوبية باعتبارها منهجا نقديا؛ مما يجعلهم يتجاوزون حدود علم الأسلوب، ليقتحموا مجال النقد الأدبي[1].

وقد ميّز "رومان جاكوبسون" بين: شعر القواعد، وقواعد الشعر ( Poésie de la grammaire, et grammaire de la poésie)[2].

ف "شعر القواعد" يعني دراسة محصول آثار أدوات التعبير في النص، أما "قواعد الشعر"، فتعني دراسة أدوات التعبير الشعري في اللغة.

وبذلك تندرج قواعد الشعر ضمن "علم الأسلوب"، أما شعر القواعد، فيتعلق بالنقد الأسلوبي.

ويقول "ريفاتير": «الأحكام التقييميّة مهمة النقد، فهي عملٌ ما وراء أسلوبي (méta stilistique): موضوع الأسلوبية ليس إلا الملاحظة»[3].

ولا بد من أن نسجّل هنا أن من منظّري الأسلوبية -مثل بيار جيرو- من يرى بأنها تستحيل بالضرورة نظرية نقدية[4]. بيد أن الأسلوبية والنقد الأدبي مجالان معرفيان مختلفان: موضوعا، ومنهجا، وهدفا.

وتتمثل أبرز الاختلافات بينهما في الآتي:

3. 1. ينظر النقد الأدبي إلى لغة النص الأدبي على أنها عنصر من عناصره، وحسب، وهي ليست العنصر الوحيد الذي يتخذه النقد الأدبي موضوعا له، بل إنه يدرس الأفكار، والعواطف، والخيال، وغيرها، بينما تعنى الأسلوبية أساسا بالكيان اللغوي للنص، أي إنها تدرس لغته لذاتها، لا بوصفها أداة للتعبير عن الأفكار والعواطف.

وقد أكد "جاكوبسون" على أن ما يميّز الوظيفة الشعرية للغة كونها يتمّ فيها التركيز على لغة الرسالة في حدّ ذاتها[5]، «فنحن في الشعر لا نصل إلى الحقيقة من خلال اللغة، بل إن اللغة تصبح "مادة بناء" كما الرّخام بالنسبة للنّحات. فاللغة الشعرية غاية في ذاتها، وليست وسيلة»[6].

---

[1]- ينظر: محمد بن يحي، الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعري المعاصر، دار فكرة كوم، ورقلة، الجزائر، ط1، 2022، ص17 وما بعدها.

2- Roman Jakobson, Huit questions de poétique, Edition du Seuil, 1977, pp 89 - 107.

3- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In, Langue française, N° 3, 1969, p94.

[4]- ينظر: المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص105.

5- R. Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, p218.

[6]- ينظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص58.

وهكذا يتضح أن مجال الأسلوبية أضيق من مجال النقد الأدبي.

3. 2. إذا كانت الانطباعية والذاتية ميزة النقد الأدبي، فإن الموضوعية والبعد عن الذاتية ميزة الأسلوبية.

3. 3. إن النقد الأدبي لا يغفل الأوضاع المحيطة بالنص، سواء في إنتاجه أو تلقيه، أما الأسلوبية -خاصة الاتجاه البنيوي- فتسعى إلى دراسة النص بمعزل عن محيطه السياسي، والاجتماعي، والديني ...

3. 4. لئن كان النقد الأدبي أسبق تاريخيا من الأسلوبية، إلا أنه عمليا يأتي بعدها، فيستفيد من نتائجها؛ ذلك أن الدراسة النقدية تعتمد على ما تقدمه لها الدراسة الأسلوبية من نتائج.

ويمكن تشبيه وظيفة كلٍّ من المحلل الأسلوبي والناقد الأدبي بوظيفة المخبري في المختبر الطبي، ووظيفة الطبيب، فالمخبري يقوم بتحليل عيّنات الدّم بطلب من الطبيب، ثم يقوم الطبيب بناءً على نتائج تلك التحاليل بتشخيص المرض، ووصف العلاج. فكما أنه ليس من شأن المخبري تشخيص علّة المريض، ولا وصف العلاج، فكذلك ليس من مهمة دارس الأسلوب الحكم على الأعمال الأدبية. وكما أنه ليس من شأن الطبيب تحليل عينات الدم، كذلك ليس من وظيفة الناقد الأدبي تحليل لغة النص[1].

ومما سبق يبدو لنا أن مهمة دارس الأسلوب تنحصر في دراسة لغة النص في جميع مستوياتها، وإبراز سماتها وخصائصها اللغوية. وهنا يجب أن يتوقف ليبدأ الناقد الأدبي في ممارسة وظيفته تقييما وتقويما.

ويمكننا إجمال تلك الفروق في هذا الجدول:

| النقد الأدبي | الأسلوبية |
|---|---|
| 1- ينظر إلى لغة النص على أنها عنصر من عناصر النص الأدبي، وحسب. | 1- تعنى أساسا بالكيان اللغوي للنص الأدبي. |
| 2- يتسم بالانطباعية والذاتية. | 2- تتحرّى الموضوعية والبعد عن الانطباعية والذاتية. |
| 3- لا يغفل الأوضاع المحيطة بالنص. | 3- تدرس النص بمعزل عن محيطه[2] (السياسي، والاجتماعي...) |
| 4- يأتي بعدها، ويعتمد على نتائجها. | 4- تسبقه وتمده بجزء من مادة دراسته. |

[1]- ينظر رأي عبد السلام المسدي في مجلة فصول، مج: 5، ع:1، 1984، ص223-224.

[2]- ينطبق هذا الحكم على الأسلوبية البنيوية.